Journal of Translation and Languages مجلة الترجمة واللغات
ISSN : 1112-3974

من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص

محمد مليايي
جامعة وهران–الجزائر
meliani-med2006@yahoo.fr

Abstract: *Arabic grammar has been given full attention to the sentence as a structure. This includes an independent and intended attribution, in order to determine how its elements are interconnected, and to clarify the rules of this relationship, and the provisions of the changes that occur to these elements in order to reach the interpretation of the actual language of the speaker, and his knowledge of this language. This is the case because grammar is, in essence, a description of the relationships that connect the elements of the sentence, and these relationships are the basis for distinguishing between the elements that make up the sentence, which made some linguists look at it as the collection of various experiences using the methods of Arabic, and its structures. If the Arabic grammar was launched from the syntax, and its analyzes were concentrated in its framework, then this is not considered a deficiency or a shortcoming, but rather is due to the scholars' desire to evaluate the language through it, and then pay attention to the rules that guarantee the integrity of the sentence at its different levels. They could have justified it from the spacious text areas and the general context. Through this paper, we would like to show the availability of Arabic grammar - which is referred to in a sentence by the sentence to the students on visions, rules and means that take the place of many procedures that are available in the grammar of the text. The aim of our words is not to reveal the origins of the concept of grammar in the Arabic text or the linguistic characteristics of the text, although in its essence it is a legitimate and ambitious work that facilitates the demand.*
Keywords: *Arabic language, attribution, grammar, sentence*

الملخص إن النحو في جوهره وصف للعلاقات التي تربط عناصر الجملة، التي تعتبر أساس التمييز بين العناصر المكونة لها، وبعد التطورات التي حصلت على مستويات تحليل النّص، برز اتجاه آخر في دراسة النّص اللّغوي يتجاوز فيه النّص كل حدود المعيارية لنحو الجملة؛ لأن النّحو يجتذبه النّص أكثر مما تجتذبه الكلمة، أو الجملة، واكتسى تماسك النص وانسجامه مكانة هامة في الدّراسات التي تندرج في مجالات تحليل النص، ولسانيات النص، وفي ضوء ما سبق انتقل الاهتمام في مجال تحليل النص من لسانيات الجملة إلى لسانيات النّص باعتبارها تجاوزا للقصور التي تعانيه لسانيات الجملة في هذا المجال، لقد بلورت فكرة هدم نحو الجملة الذي ألجم الطّرح اللّساني، وجعل البنية الكلية للنّص هدفا رئيسا، ومن هذا المنطلق يطرح الباحث إشكالية حتمية تجاوز نحو الجملة إلى نحو النص باعتباره تتابعا من الجمل قابلة للتحليل اللساني، منتهجا في ذلك منهجا استقصائيا تحليليا، خلص في الأخير إلى استحالة التخلي عن نحو الجملة، بوصفها بنية فرعية، تنهض على مسند ومسند إليه، وليس الهدف من كلامنا هذا ، وإن كان كشف ما في النحو العربي من أصول لمفهوم نحو النص أو لسانياته هو في جوهره عملا مشروعا غير أن هذا لا يتعارض مع إمكانية استخلاص إشارات وقواعد يمكن أن يؤسس عليها بناء نحو نص.
الكلمات المفتاحية: لسانيات الجملة، لسانيات النص، نحو النص، تحليل النص، الخطاب، التعالق.

مقدمة

عني النحو العربي عناية كاملة بالجملة[1]بوصفها تركيبا يتضمن إسنادا مستقلا[2] ومقصودا، بغية تحديد كيفية تعالق عناصرها، وبيان قواعد هذا التعالق، وأحكام ما يطرأ على هذه العناصر من تغيرات للوصول إلى تفسير لغة المتكلم الفعلية، ومعرفته بهذه اللغة؛ لأن النحو في جوهره وصف للعلاقات التي تربط عناصر الجملة، وهذه العلاقات هي أساس التمييز بين العناصر المكونة للجملة، ممّا جعل عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) ينظر إليه على أنه تحصيل الخبرات المتنوعة بأساليب العربية، وتراكيبها.[3]

وأقر دي سوسير بأن الوحدات اللغوية تتحدد بالنظر إلى علاقاتها بغيرها من الوحدات الأخرى؛ لأن الوحدة لا تتحدد بناء على جوهرها وإنما على الوظيفة التي تؤديها داخل النظام[4]، ونظر مارتيني إلى الجملة بكونها كل عبارة ترتبط جميع وحداتها بمسند وحيد أو بمسندات مترابطة[5].

وبعد التطورات التي حصلت على مستويات تحليل النّص، ظهر اتجاه آخر في دراسة النّص اللّغوي، لأن النّحو يجتذبه النّص أكثر مما تجتذبه الكلمة، أو الجملة، وأدرك علماء اللسان" أن اجتزاء الجمل يحيل اللغة الحية فتاتا وتفاريق من الجمل المصنوعة المجففة أو المجمدة"[6]

وبهذا الفهم يتجاوز النّص كل حدود المعيارية لنحو الجملة، كما أنه يتجاوز كل عادات التلقي التقليدية وطرق التّحليل النّحوي المعروفة التي خدمت اللّغة زمنا طويلا وماتزال، أضف إلى ذلك أن "النص لا يخضع لقواعد معيارية مثل الجملة، وهو من هذه الزاوية يفلت من

---

[1]- في نظر د. مازن الوعر أن مفهوم "الجملة" يطرح عدة صعوبات، ويرى أنه من واجب النحويين المحدثين البحث عن تعريف مرض للجملة، على الرغم من أن لمفهوم الجملة أكثر من مائتي تعريف، ينظر دراسات نحوية ودلالية وفلسفية في ضوء اللسانيات المعاصرة: د. مازن الوعر، ص13.

[2]- ينظر المرجع السابق ص13.

[3]- ينظر النحو والدلالة-مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي: د. محمد حماسة عبد اللطيف، ص 168.

[4]- ينظر علم لغة النص-المفاهيم والاتجاهات أ.د سعيد حسن بحيري، ص 22.

[5]- ينظر من لسانيات الجملة إلى علم النص: د. بشير إبرير، مجلة الموقف الأدبي مجلة أدبية شهرية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، العدد 401/ 2004، ص 16.

[6]- نحوُ النص-اتجاه جديد في الدرس النحوي-: د. أحمد عفيفي، ط.1، سنة 2001م، مكتبة زهراء الشرق—القاهرة-مصر، ص 40.

الضبط، لا لأنه يَعْسُرُ ضبطه، وإنما لاختلاف المعايير الضابطة له في التصوّر القديم عن ضوابط الجملة".[7]

واكتسى تماسك النص وانسجامه مكانة هامة في الدّراسات التي تندرج في مجالات تحليل النص، ولسانيات النص، ونحو النص، وعلم النص، بدليل أننا لا نكاد نجد مؤلفا في هذه المجالات يخلو من هذين المفهومين أو من أحدهما، أو من المفاهيم التي ترتبط بهما كالتّعالق والترابط.

وفي ضوء ما سبق انتقل الاهتمام في مجال تحليل النص من لسانيات الجملة إلى لسانيات النّص باعتبارها تجاوزا للقصور التي تعانيه لسانيات الجملة في هذا المجال؛[8] لأن الانطلاق من بنية نحوية صارمة، يعني تضييق مجال الرؤية الذي سيحول دون الإلمام الشامل نسبيا بمجالات النّص الفسيحة.[9]

إنّ التحول من لسانيات الجملة إلى لسانيات النّص في تحليل النّص اعتمادا على مؤلفين هامين، وسم الأول بـ: "التماسك في اللغة الإنجليزية "(Cohesion in English) لـ م.أ.ي هاليداي ورقية حسن (M.A.K Halliday et Ruqaiya Hasan)، ووسم الثاني بـ: " النّص والسياق" (texte et contexte) لفان دايك[10] (Van Dijk)، يعد طفرة نوعية في علم اللّغة النّصي؛ لأنه يتعدّى عطاءات لسانيات الجملة المحدودة.

ولقد انطلقت لسانيات النّص بوصفها دراسة معاصرة من النص الذّي يعدّ تتابعا من الجمل، وبلورت فكرة هدم نحو الجملة الذي ألجم الطّرح اللّساني في نظر أصحابها، وأوجدت البديل الذّي يرتكز على المعطى النّصي، ويستند إلى أنّ البنية الكلية للنّص تعتبر هدفا رئيسا، لا يتحقق إلا من تفاعل الجمل وعلاقاتها؛[11] لأن الظاهرة التركيبية لا يمكن تفسيرها تفسيرا كافيا

[7] - نسيج النص-بحث في ما يكون به الملفوظ نصا-: الأزهر الزناد، ط.1، سنة 1993م، المركز الثقافي العربي- بيروت- لبنان ص 20.

[8]- ينظر نظرية تحليل الخطاب واستقلالية الجملة: د. مازن الوعر، مجلة الموقف الأدبي مجلة أدبية شهرية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، العدد 2003/385. www.awu-dam.org

[9]- ينظر لسانيات النص –مدخل إلى انسجام الخطاب-: محمد الخطابي، ص28.

[10]- تون فان دايك ولد سنة 1943م، يشتغل أستاذا لدراسات الخطاب في جامعة أمستردام.

[11]- ينظر علم اللغة النصي- دراسة تطبيقية على السور المكية-: د. صبحي إبراهيم الفقى، ص 49/1.

ومقنعا بالوقوف عند حدود الجملة، ولكن نصل إلى تفسير شاف إذا اعتمد الوصف على وحدة أكبر من الجملة، وبخاصة إذا كانت نصا.

استقطبت هذه النظرة الجديدة للنّحو المنعوتة بلسانيات النّص جهود الكثير من الباحثين اللّسانيين المحدثين، الذين انقسموا إلى فريقين: مؤيد ومعارض، ومنهم مازن الوعر الذي رد بقوة على أصحاب هذا الاتجاه الجديد، وأعلن وفاءه لنحو الجملة وإيمانه بها بوصفها نواة يستحيل نعتها بالضعف أوالقصور، إذ قال:" من يرجع إلى أدبيات نظرية تحليل الخطاب ولاسيما عند "فان ديك" (V. Dijk. 1972) و"دي بوغراند(Be Beaugrand 1980) ، و"جيفون " (Givon 1980)فسيجد أن هذه الدراسات تظهر أن "نحو الجملة" هو نحو ناقص وضعيف وبالتالي غير صحيح"[12].

وبعدما حاول رصد نقاط ضعف نحو النص، راح يقدم بديلا رآه مشروعا في هذا المجال، إذ قال:" يجب ألاّ يُفرَغ نحو الجملة من مضمونه... والحجة التي تستخدمها نظرية تحليل الخطاب من أن الوحدة الطبيعية للتحليل اللساني هي النص وليست الجملة... أقول أن هذه الحجة تظل بعيدة عن الإقناع، ذلك أنه يمكننا أن نكشف استقلالية الجملة ضمن تحليلنا للنص"[13]،ولهذا نجد الكثير من اللسانيين المحدثين يصرون ويلحون على ضرورة الوقوف عند حد الجملة بوصفها وحدة كبرى قابلة للتحليل وعدم تجاوزها إلى وحدات أخرى أكبر منها؛ لأن هذا العمل في نظرهم لا يدخل في صميم الدراسة اللسانية.[14]

ومنهم من راح يناقش المسألة من خلال نظرة تقويمية تناول فيها آراء المشتغلين في هذا المجال، وخلص إلى أن العلماء الذين وجهوا عنايتهم كاملة إلى لسانيات الجملة قد أقصوا بوعي تام من اهتماماتهم العوامل الاجتماعية والتبليغية واهتموا - في المقابل - بالوصف بمنأى عن السياق اللغوي وعلاقته بأحوال الخطاب ومقتضيات التبليغ اللغوي وملابستها المختلفة.[15]

[12]- نظرية تحليل الخطاب واستقلالية الجملة: د. مازن الوعر، مجلة الموقف الأدبي مجلة أدبية شهرية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، العدد 2003/385. www.awu-dam.org

[13]- المرجع نفسه، والمقال نفسه.

[14]- ينظر من لسانيات الجملة إلى علم النص: د. بشير إبرير، مجلة الموقف الأدبي مجلة أدبية شهرية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، العدد 401/ 2004، ص 16.

[15]- المرجع السابق، والمقال نفسه.

ومنهم من يؤكد على حتمية تجاوز نحو الجملة إلى نحو النص باعتباره تتابعا من الجمل قابلة للتحليل اللساني.

وأضاف بشير إبرير أن هذا الاتجاه الجديد اقتضى من أصحابه وضع مفاهيم ومصطلحات جديدة تختلف عن مصطلح الجملة ومنها: الملفوظ (Enonce) والتلفظ (Enonciation) والخطاب (Discours) والنّص (Texte) وهي تدل على قيام نحو جديد ينعت بلسانيات النص، لها مفاهيمها الخاصة ورُؤَاها المتميزة في التحليل، تختلف عن نحو الجملة - بما تحفل به من مفاهيم ورؤى خاصة- التي وجهت اهتمامها وعنايتها كاملتين في دراستها إلى الجانب الوصفي للّغة، وخلص صاحب المقال إلى أنه من الضروري" إعادة الاعتبار لدراسة الظواهر الكلامية التي كانت مبعدة من الدّراسة منذ سوسير؛ لأنّهم عدّوها خارجة عن موضوع اللّسانيات".[16]

وفي ضوء ما سبق توسع مجال الدّراسة وتعدّى لسانيات الجملة إلى لسانيات النّص، وهو العلم الذّي يقوم على" فكرة أنّ النص يعد الموضوع الرئيسي في التحليل والوصف اللغوي."[17]

وما نستشفه في هذا الشأن أنه يستحيل التخلي عن نحو الجملة، بوصفها بنية فرعية، تنهض على مسند ومسند إليه، اللذيْن يمثلان الركنين الأساسين في بناء المعنى الجزئي، إلاّ أنّه يبقى لها مجالها وإطارها وأهدافها المتصلة في الأساس بالسلامة اللغوية، ولا تخرج عن الوظيفة التعليمية والمعيارية، ونقصد بها تلك الشواهد النحوية والبلاغية التي تأتي- غالبا- مصنوعة، أو خارجة عن سياقها، مما يخرجها من اهتمام نحو النص.

أما النص بوصفه تتابعا من الجمل، وكونه يؤدي وظيفة تواصلية، فإنّه يشكل أرضية خصبة لاتساع مفهوم النحو، وذلك بإضافة مفاهيم جديدة لا تتصل بمجال اهتمام الجملة خارج سياقها التواصلي، وتتصل بمفهوم النص المرتبط بسياقه التواصلي، ومن هذه الزاوية يصبح النحو مكونا من مكونات نظرية شاملة تفسر سلوك الإنسان من خلال نص مرتبط بسياق تواصلي، وليس من خلال جملة[18].

---

[16]- من لسانيات الجملة إلى علم النص: د. بشير إبرير، مجلة الموقف الأدبي مجلة أدبية شهرية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، العدد 401/ 2004، ص 16.

[17]- علم اللغة والدراسات الأدبية، دراسة الأسلوب، البلاغة، علم اللغة النصي: برندشبلنر، ترجمة د. محمود جاد الرب، ط.1/1987م، الدار الفنية للنشر والتوزيع-القاهرة- ص 184.

[18] - ينظر نحوُ النص –اتجاه جديد في الدرس النحوي-: أحمد عفيفي، ص 40.

وتقوم معظم العلاقات النّصية على العلاقة بين عنصري الإسناد والمتممات الأخرى داخل الجملة الواحدة، وعلى علاقة الوحدات داخل عدة جمل التي يتشكل منها النّص، "لأنّ التحليل يبدأ في إطار هذا المنهج من الأبنية الصغرى، أو التراكيب المشكلة في جمل أو متواليات جملية تشكل نصا معينا، وبينها علاقات ربط نحوية"،[19] وهذا لا يتم إلاّ بتوافر وسائل التماسك والانسجام.

وإذا كان النّحو العربي قد انطلق من نحو الجملة، وتركزت تحليلاته في إطارها، فإن هذا لا يعتبر عجزا أو قصورا، وإنما مرده إلى رغبة العلماء في تقويم اللّسان من خلالها، ومن ثم الاهتمام بالقواعد التي تضمن سلامة الجملة باختلاف مستوياتها، وكان بالإمكان أن يعلّلوها انطلاقا من مساحات النص الفسيحة والسياق العام، ونروم من وراء هذا الطرح بيان مدى توافر النحو العربي– المنعوت بنحو الجملة عند الدارسين على رؤى وقواعد ووسائل تقوم مقام كثير من الإجراءات التي تتوافر في نحو النص.

ويحق لنا وصف أعمال البلاغيين بالبحوث النّصية، ويتقدمهم عبد القاهر الجرجاني(ت471هـ) من خلال نظرية النظم التي وجه فيها اهتمامه وعنايته إلى النص انطلاقا – طبعا- من الجملة التي تعدّ نواة لبنيته الكبرى في معالجة كثير من المباحث كالإيجاز والوصل والفصل... أين كان يشير إلى ترابط الجمل وتماسكها. وفي الحقيقة إنّ نظرية النظم هي ما يطلق عليه اليوم نحو النص.

وما خلفه المفسرون هو في جوهره ممارسة نصية؛ لأنهم اتخذوا النّص القرآني أهم مادة دارت حولها دراساتهم، فقد عُدَّ كالكلمة الواحدة في تماسكه.[20] وليس الهدف منه كلامنا هذا كشف ما في النحو العربي من أصول لمفهوم نحو النص أو لسانيات النص، وإن كان في جوهره عملا مشروعا وطموحا ويسير المطلب، ولكن الذي يعنينا منه بالدرجة الأولى هو استخلاص ما تضمنه هذا النحو من إشارات وقواعد يمكن أن يؤسس عليها بناء نحو نص العربية.

[19]- علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات: أ.د. سعيد حسن بحيرى، ص116.

[20]- ينظر علم اللغة النصي- دراسة تطبيقية على السور المكية-: د. صبحي إبراهيم الفقى، 125/1.

References

[1] ‘ilm al-lughah wa-al-Dirāsāt al-adabīyah, dirāsah al-uslūb, al-balāghah, ‘ilm al-lughah al-naṣṣī : brndshblnr, tarjamat D. Maḥmūd Jād al-Rabb, Ṭ. 1/1987m, al-Dār al-fannīyah lil-Nashr wāltwzy‘-ālqāhrh.

[2] ‘ilm Lughat alnṣ-ālmfāhym wa-al-ittijāhāt U. D Sa‘īd Ḥasan Buḥayrī.

[3] ‘ilm al-lughah alnṣy-dirāsah taṭbīqīyah ‘alá al-suwar almkyt-: D. Ṣubḥī Ibrāhīm al-Fiqī.

[4] Lisānīyāt al-naṣṣ – madkhal ilá insijām alkhṭāb-: Muḥammad al-Khaṭṭābī.

[5] Min Lisānīyāt al-jumlah ilá ‘ilm al-naṣṣ : D. Bashīr ibryr, Majallat al-Mawqif al-Adabī Majallat adabīyah Shahrīyat taṣdur ‘an Ittiḥād al-Kitāb al-‘Arab, al-‘adad 401/2004.

[6] Al-Naḥw wāldlālt-mdkhl li-Dirāsat al-ma‘ná al-Naḥwī al-dalālī : D. Muḥammad Ḥamāsah ‘Abd al-Laṭīf.

[7] Nḥwu alnṣ-ātjāh jadīd fī al-dars alnḥwy-: D. Aḥmad ‘Afīfī, Ṭ. 1, sanat 2001M, Maktabat Zahrā’ al-Sharq — alqāhrt-mṣr.

[8] Nasīj alnṣ-bḥth fī mā yakūn bi-hi al-malfūẓ nṣā-: al-Azhar al-Zannād, Ṭ. 1, sanat 1993M, al-Markaz al-Thaqāfī al‘rby-byrwt-Lubnān.

[9] Naẓarīyat taḥlīl al-khiṭāb wāstqlālyh al-jumlah : D. Māzin al-Wa‘r, Majallat al-Mawqif al-Adabī Majallat adabīyah Shahrīyat taṣdur ‘an Ittiḥād al-Kitāb al-‘Arab, al-‘adad 385/2003. www.awu-dam.org.